

رحلة السادات

وخطية العرب

● الانقسام ●

لم تصنع هذا الانقسام زيارة السادات . وانما جاءت الزيارة مناسبة يفسح فيها عن نفسه ، ويوظف من اليوم الذي تطافروا طويلا بأنه شر موجود .

قبل زيارة السادات لاسرائيل ، كان العالم العربي السعيد ببتروله قد استقر على صيغة معينة يتعامل بها مع مصر : صيغة ينهض فيها لادلاء « التسوية الكبرى » ، وينتشر على قعرها ، ويصطف عليها مع الضيق من كثرة مطالبها . مستجيبة لا يخل فيها بالصدفة ، ولكن يفسد ما يروق له ، ويقتدر بما يجعلها اللاد ناكل ، والباد تشرى بتدنية من من هنا ورسامة من هناك .

وعندما طالت المعركة التي لخوضها مصر أمام صهيونية اسرائيل وعدوايتها واستلحتها التي تترافق في المغارن تحت الأرض ونوق الاوضاع ، بدأ اtrieb العرب يملون . وانحدر الحال الي الصعد حتى جبل المرعى يوسف في بعض صحف العرب بأنه خادم ، وبأنه حين يحضاه على كرامته ، انما يتركب جريمة التطاول على اسمائه .

هل كان يمكن ان يستمر وضع كهذا دون ان يحدث انقسام بين مشاعر الشارع المصري والشوارع العربي ؟

لم ان مصر الرسمية ، على رءم وكذا ، ففتحت الباب للعال العربي على صرحها . واتفقت مع التزامات اي مالا يستمر في اي ارض فاذا بهذا الحال ينصرف الي التسبب من مصر ، لا في ارض مصر . واذا يه بعدى المصريين مشاعرهم مدن سياحية لا يظفونها ، وجعرا لا يسكنونها ، ومانجر تبوع مالا يعرفون اسمه ولا يتكلمون عنه ؟ فكاننا قتر مصر - التسامح من تصحيفها - فرصة لاعادة استعمالها من جديد . وكالما تخلصت مصر من التواخوة الانجليزي لكي يحتل مكانه التواخوة الصيني الشقيق !

هل كان يمكن ان تستمر علاقة كهذه ، بين مصر والعرب ، دون ان تعود الي انقسام ؟

لم جاء الذي زاد وقطى .. عندما تشكلت مجموعة من الدول العربية « جهة رفض » لاي حل سلمي مع اسرائيل ، وجعلت شعارها انه لا حل الا بالعودة العربية والاقوام بالسلاح . لكن التسبب المصري كان يلائح ان هذه الدول بالذات من التصرفة تماما الي تعمير نفسها . وليس فيها دولة واحدة .. تلحق نصف دخلها على التسليح كما تفعل مصر . وانما هي تنفق فقط . ومن طرفها الغير ، على انتباه السكان والمزارع والتاجير والعرق والتسكك المدينة . والتسبب المصري ليس نبيا ، ولا يمكن ان يسبغ نداء الحرب بصدور من اصدقاء يتفقون كل دخلهم على البناء .. بينما يؤجل هو حطط التنمية جيحسا ، بل ويفتعل عن لغة الخبز اليومية ، لكن ينفق على الحرب .

والتعريف العربي لها هو انها محاولة لاختصار المعركة العربية الاسرائيلية ، وتجربة سلاح جديد يقرب الوصول الي اعدائها : هو الناتج على الخضم نفسه .

وقد ذلعت اسرائيل بتدري ما فعل العرب عندما قرر السادات الاقدام على هذه المحاولة . ولكن .. ما ابعاد الفرق بين رد الفعل الاسرائيلي ورد الفعل العربي ؟

في اسرائيل درسوا اخطار الزيادة عليهم ، ووضعوا خطة لتجديتها .

قلب السادات المادة ، وثار اtrieb العالم كله .. ذهب بزود اسرائيل ، وبناتش انقلاب الصهيونية باسم مصر : ائتت البلاد العربية تمرسا لعقواتهم ، وخساسة بسببهم ، وتعديا ، وسودوا في وجعهم .

ولم يكن هناك طبعيا ما هو اكثر من هذا مدعاة للاtrieb . ولم يكن هناك من هو اكثر اtriebاً من الشارع العربي نفسه . ففي سوريا (الكتف الاسلام ، وفي العراق ثامت مظاهرات ، بينما هلل الشارع المصري وكائن في عيد جتقي .

وفي صفوف الحكومات العربية كان اtrieb ممتالا . فالزيارة يؤيدها السودان ، ولكن السعودية لا تمان وايضا مراعاة فيها ويسكت الاردن (اول دولة عربية فاوذت اسرائيل الاكثر من يومين قبل ان يتولى يحتفظ انه موافق عليها . ولعن دمشق انها قد سادرة السادات بينما تمل بغداد ان دمشق تناقق لانها التفتت مع السادات على القيام ببيادته !

اما في صفوف الثوار فكان الاtrieb ايتت . وكان من اtrieb مظاهره ورفض اليسار لتصرف السادات ، مع انه التصرف الذي ناضل اليسار طويلا لكي يتم . فالاركسيون الذين يمثلون فرقة اساسية في حزب اليسار الاكثرا اليسار الوحيد الذي طالب في عام 1968 بقبول تقسيم فلسطين ، والاعتراف بالدولة الاسرائيلية والعربية على ارضها . وبسبب هذا الموقف ضد الاركسيون المنجم ، وانهموا باهم صلاة الصهيونية والاشوية مما . وبعد ثورة يوليو كان اول من وجه دعوة للثوار اليسار من اسرائيل هو ارحوم يوسف حلمي ، رجل السلام اليساري . وبسبب هذه الدعوة عاش طويلا خارج مصر ، متزوجا من دولها . وبعد يوسف حلمي كان اول من جرؤ على اقامة حوار علني مباشر مع شخصية صهيونية هو اليساري المعروف سعد كامل . اجري هذا الحوار امام عدسات التلفزيون في باريس ، لم عاد الي مصر واقفا من ان السجن ينتظره .

وعلى شوه هذا التاريخ كان مفروضا ان يكون اليسار . او على الاقل الاركسيون . اول من يتبع لبيادته السادات ، ويتبنيها بانه نادى بذلك منذ ثلاثين عاما كاتلة .

لكن اليسار كان على العكس الراض الوحيد - من بين الاحزاب الشرعية في مصر - بزيارة السادات !

ولم يكن حال اليمين افضل . فهو الذي تسدى في عهد فاروق لقتل دولة اسرائيل في العهد ، والقذف بها الي البحر . وهو الذي تمسك بان يكون اسمها دائما « اسرائيل الخروسة » ، وهو الذي امير فيها تحديا دينيا لا يجوز مسلم ان يسكت عليه . وهو الذي اعتبر اي كلام عن اليهود كيش ، واي اقتراح بالتفاوض معهم (ولو من خلال وسيف) دعوة شيوعية ، صهيونية .

ولكن هذا اليمين نفسه ، وباسم العرب الشرعي الوحيد الذي يعبر عنه في مصر ، كان اول من ايد زيارة السادات لاسرائيل ، واعتبرها نضحا في عالم السياسة والنضال من اجل السلام في منطقة الشرق الاوسط .

وهكذا .. في الشوارع الي القادة ، ومن مصر الي المغرب ، كان الاtrieb شاملا منذ قيام السادات بزيارته لاسرائيل . لكن اخطر مظهر لهذا الاtrieb هو باتتايك انقسام الشارع العربي .

وهدسوا مزاياها لهم ، ووسعوا خطة لاستئصالها . لم يتحركوا مصر تزور
أمام العالم بصورة الدامي الى السلام ، وإنما ظهروا ممعا في الصورة ،
والبروز بكافة الوسائل ان السلام عليهم وبرئاسهم وبذلك تجنبوا خطر
الزيارة على صورة العالمية . ثم انطلقوا بعد ذلك يستمعون مزاياها ،
ويحيطون بجميع خطوات الزيارة ، يقرضون لا تتسع الا بين دول تعيش في
سلام .

لما العالم العربي انصرف عن الاستفادة من الزيارة الى اذلتها .
وبعد ان ان يبدو امام العالم دامية السلام ، بما دامية لعق اسرائيل
في الشرف من العرب وثوابهم الزائفة للسلام !

ان زيارة السادات لاسرائيل حدث من أفضاخة بحيث يسمع
الوهابين والعلمانيين ان يراسلوا الثلاثة وطلب المصالح بدون توقف .
واسرائيل لا تطمع في اكثر من ان تظلوا مشغولين عنها بمسئله القضية
القطرية .

وبعد ان من تجنبه الدول العربية اخطار الزيارة ، وتصرف بحيث
تعمل مكانها اكثر من خسارها ، مضت تتسابق الى ضمان الفسلفة
الزائفة ، من طريق الهجوم على مصر ومن طريق تصفية المسكر العربي
عمليا .. لان لا قيام له بحر مصر !
وعكفا .. يكرر العرب ابرام نفس النشطة التي اضابت فلسطين ؛
يوم أصدرت الامم المتحدة قرار تقسيمها ، فترغ العرب لادانته ورفضه
وترغ اليهود لاستثماره !

ان حدثا كهذا يحدث ان تصرف العرب الى اذراك ابعاده ، ووضع
الخطا لاستئثاره ، والتلازم مع الظروف الجديدة التي خلقها .. اذا
كثروا جلايين حقا في كسره ، قدروهم .
ولا مجال في ان هذه الامة تسترط ان يفهم العرب اولا وجودهم .
اي ان يعيدوا اولا لم شملهم .

ان زيارة السادات لاسرائيل ، اياها السادة ، واقع تاريخي جديد
يكون مع نفس الخطا او نفس المعضلة .
كل هذا كنا نقفه ، فينظف العرب !

ان الخاضر حقا للقضية العربية هو الذي يكافح اليوم لاعادة التماسك
العربي باى تسن . وكل الذين يطعنون التغير الان بالقطاعات الفدائية الرئاسة
والثغرات التي ذهبت وقتها الى يدهم من قضية العرب . فضلا من أهم
في حقيقة الامر يقولون : لان الطريق الذي اراد السادات ان يخترعه
كان الطريق الى الحام العربي .. لا الى العلم الاسرائيلي .

وكل هذا كنا نطرحه من نتائج ، فسادون الصحف التي تنشر
التحليل . ثم يتجهون على الحكومة المصرية التي تسمح لكل هذا الكلام
بان ينشر في صحفها .

ان الصف العربي يجب ان يلمح من جديد . وقد يكون من حق اي
عربي ان يحرض على الخطوة الجديدة التي قام بها السادات ولكن ليس
من حق هذا العربي ان يقول : لقد قام السادات برحلة سائرة ، وشار
عليه يجب ان امرح العربي لينائد الصورا !
ان هذه الزيارة ، كمعظم الأحداث التاريخية ، يتوقف اثرها على
رؤد الأعمال ايجابية تتجاهها .

ثم ظهر اذكياء تصورون ان الطلبة بالانكاف حول مصر ، والتحلل
من البخل عفيفا ، نوع من التهور . وخيل اليهم ان وزن مصر ،
واقها ، وضروبها للمصر العربي ، مجرد كلام ، وان من الخير للعرب ان
يتخلصوا من اثقال مصر التي اصبحوا من وجهة نظرهم - لا تطابق
ولكن ..

فحين تلك ان جعلها فرصة لتفسيخ المسكر العربي واليهاده ، كما
تمك ان تجعلها فرصة لكسب يما المسكر موانع جديدة في معركة
السياسية والعربية ضد التمسك الصهيوني ، الذي بدأ العالم فضلا
يكتشف خطاهه وينبش من تليده السابق له .

ما كان بلوح ، مع زيارة السادات لاسرائيل ، ان مصر قد لبى رغبة
هؤلاء السادة وتركرم في حالهم . حتى استلمهم جرح شديد !
ولم يبدى من هذا المزج ان السادات تملك طوق يولته بحق
العرب ، والترجمه ، واعلم انه يرفض المساومة عليه . فمجرد قيامه
بزيارة كان مضحا ، لانه يتضمن وهم الانكاف الشفرد زوهم ، وفكرهم
يحثرون المعركة على طريقتهم . وكان مجرد هذا الزهم بالنسبة اليهم
كفرقة ، وجريمة ، وخيانة .. نهاية العالم !

ان السادات عندما قرر ان يزور اسرائيل لم يبرش لفظ اي حق
عربي ، ولم ينام الا مستنبطه الشخصى ، في سبيل الهدف العربي .
اما الحملة على السادات فتعرض للفظ مستقبل العرب جميعا ،
وتشتم بصحة الامة العربية كلها !

ان فوجود مصر ضرورية ، وضرورة عربية في القام الاول .
والان فالمصلحة التي تلي ان مصر تخلت عن دوعها العربي انما هدفها
اخراج مصر من الصف العربي باحكام مشغولة بالتفاف قورا !

● خطة العرب ●

ايها العرب .. اعدوا !
لا تفرقوا مسكركم باديكم .. ثم تعودوا عن الكفارة ، وتعدوا
ضامركم ، تالقه الحملة على السادات !

ان هذه الحملة شيطانية كبرى ، يكره بها العرب خطاياهم السابقة
ايض اضابت فلسطين .
قيده الصلوة يرفض العرب استئثار الانقلاب السياسي التاريخي .